وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أهل الثغور

الثلاثاء ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٠ الموافق ١٠ نوفمبر ٢٠٠٩

عبد الوهاب بن ناصر الطريري

اشتهر خبر الإمام المجاهد عبدالله بن المبارك -رحمه الله- والذي يقول فيه: «من اعتاصت عليه مسألةٌ فليسأل أهلَ الثغور، فإن الله يقول: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)**».

وفي رواية: «إذا رأيت الناس اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: **(لنهدينهم)**».

وهذا الخبر يُروى عن ابن المبارك من قوله، ويُروى من قول سفيان بن عيينة له[1].

وقد كثر تداول الخبر، و الاستدلال به على أن أهل الثغور أعلم بأمر الجهاد، وأنهم هم الذين ينبغي أن يُستفتوا ويُرجع إليهم، وأنهم هم العلماء حقًّا، وليس غيرهم من القَعَدَةِ، وأنهم الجديرون بالهدى والسداد، ولذلك فرأيهم مقدَّم على رأي غيرهم، واجتهادُهم له الأولوية، وربما تجاوز الأمر بالانطلاق من هذا المعنى إلى تنقُّص العلماء الذين لم يَشْخَصُوا إلى هذه الثغور، ولم تغبَّر أقدامهم بالجهاد، وأنهم قد ركنوا إلى الدعة والموادعة، وألهاهم عن الجهاد وقول كلمة الحق الترفّه وتفخّذ النساء.

والحق أن هذه الكلمة التي تُروى عن الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك تحتاج إلى تأمُّل علميٍّ هادئ، يتطلب الوصولَ إلى الحقِّ ومعرفةَ مراد الله عز وجل من قوله المنزَّل، وتتبُّع كلام أهل العلم حولها حتى يفضي بنا ذلك إلى المعنى المتكامل للآية، وإذا نحن اجتهدنا في الوصول إلى ذلك؛ فإنَّ ثَمَّ معالمَ تَسْتَلْفِتُنا:

أولها: أن هذه الآية آية مكية، نزلت قبل أن يُفرض القتال، كما قرَّر ذلك أهل العلم (الاتقان١/ ٣٦)،

---

(١) لم أجد هذا الأثر، يروى مسنداً إلا من وجهين:

الأول: رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٣٠٨٤) وفي إسناده من لا يعرف.

الثاني: رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/ ٢٩٠) عن سفيان بن عيينة وفي إسناده عبد الله بن محمد بن وهب تركه الدارقطني، لسان الميزان (٤/ ٥٧٣).

والأعجب أن مظنته الأولى كتاب الجهاد لابن المبارك ولم أره فيه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(الدر المنثور١١/ ٥٢٦)، فإن سورة العنكبوت سورة مكية، ولذا قال السُّدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال.

وقال ابن عطية: هي قبل الجهاد العرفي، وإنما هو جهاد عامٌّ في دين الله وطلب مرضاته.

وقال الشيخ ابن عاشور: في هذه الآية: لم يكن يومئذ جهاد القتال.

وبذلك عُلم أنَّ للآية معنًى أوسع من القتال في الثغور، فإن هذه الآية نزلت في مكة قبل أن يُفرض قتال، وقبل أن تكون ثمَّةَ ثغور.

ثانيًا: تنوَّعت عبارات المفسرين في تفسير هذه الآية، وإن كانت ترجع إلى معنًى عامٍّ يجمعها، فقد قال ابن عباس: الذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبُلَ ثوابنا.

وقال الحسن بن أبي الحسن: الآية في العُبَّاد.

وقال ابن عباس وإبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعملون بما يعلمون.

وقال أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصرُ الدين، والردُّ على المبطلين، وقمعُ الظالمين، وأعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر.

وقال الضحَّاك: الذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبُلَ الثبات على الإيمان.

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور: هذا الجهاد هو الصبر على الفتن والأذى ومدافعة كيد العدو، وهو المتقدم في أول السورة في قوله تعالى: **(وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ)**؛ إذ لم يكن يومئذ جهادُ القتال.

ومعنى: **(جاهدوا فينا)**: أي جاهدوا في مرضاتنا، بالدين الذي اخترناه لهم. ا.هـ.

وبذلك يعلم أنَّ تنوُّع كلام أهل العلم في هذه الآية يعود إلى معنى الجهاد في الفترة المكية، وهو الجهاد بمعناه العام.

ومن ذهب من العلماء إلى تفسير الجهاد بالقتال فهو من تفسير المعنى العام ببعض أفراده.

ثالثاً: لا تُعلم مسألةٌ علميَّة دينية أو دنيوية اعتاصت على أهل الرأي فاتخذوا هذا القرار، وكتبوا إلى أهل الثغور، ولم تكن الثغور عامرة بأفضل وأزكى ممن كانت عامرة بهم أيام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومع ذلك فقد اعتاصت عليهم مسائل كثيرة كمسألة ميراث الجدة على أبي بكر، والكلالة على عمر، والدخول إلى بلد الوباء وغيرها، ومع ذلك لم يكتبوا إلى الثغور، ولم يسألوا أهلها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن رأيهم، وإنما كان عمر يجمع أهل بدر، ومشيخة قريش، ويصدر عن رأيهم؛ و من نسبت إليه هذه العبارة (ابن المبارك، أو ابن عيينة) لا يعرف عنه أنه كان يرجع إلى قول أهل الثغور في مسائل الخلاف ليعرف الراجح من الأقوال.

بل كان أهل الثغور هم الذين يعودون إلى فقهاء الأمصار ليعلموا الراجح من الأقوال! روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥/ ١٦٧) عن محمد بن عبد الحكم قال: جاء أهل الثغر إلى مالك، فقالوا له: إن رأي هذين الرجلين قد غلب على أهل الثغر: سفيان الثوري والأوزاعي، فرأي من ترى نأخذ؟ فقال مالك: كان الأوزاعي عندنا إماماً! فما بالهم لم يرجعوا إلى فقهاء ثغرهم لمعرفة ذلك؟!

رابعاً: لا يُعلم في مرجِّحات الأقوال والآراء أنَّ هذا الرأي هو رأي أهل الثغور، أو أنَّ هذا اجتهاد مَن في الثَّغر. وهذه مدونات الفقه يذكر فيها قول أهل الثغور أحياناً نادرة في مسائل الخلاف، ويساق ضمن القائلين بأحد الأقوال دون أن يجعل قرينة على رجحان ذلك القول بل لا يجد الفقيه غضاضة في اختيار خلاف قولهم كما في صنيع الإمام أحمد. انظر: المغني (١٠/ ٤٤٦ طبعة دار الفكر).

خامساً: إن الذي حصل في التاريخ هو عكس ذلك، فقد حصلت مُراجعة أهل الثغور في اجتهادهم، كما استدرك عمر -رضي الله عنه- على أَبي عُبيد الثقفي في معركة الجسر، التي هُزم فيها أبو عبيد، فقال عمر رضي الله عنه: لو انحازوا إلي كنت لهم فئة (تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٣٦)، فكان رأي عمر استدراكًا على اجتهاد أبي عبيد الذي كان في الثغر وفي مواجهة الفرس.

وهذا أحمد بن حنبل كان يتعجب من قول أهل الثغور في مسألة من مسائل الجهاد! وهي: الطفل الحربي يسبى ومعه أبواه أو أحدهما، وذهب إلى خلاف قولهم واحتج عليهم بحديث: «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه**.. ». أحكام أهل الملل للخلال، والاستذكار (٣/ ١١٧)، وفي طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٤) أنه ضحك من قولهم وقال: أهل الثغور يصنعون أشياء ما أدري ما هي!! أحكام أهل الذمة (٢/ ١٩٣).

بل هذا إسحاق بن راهويه الإمام الفقيه المحدث قيل له: إن أهل الثغور يلعبون بالشطرنج لأجل الحرب، فقال: هو فجور!

انظر: الكبائر للذهبي (ص:٨٨)، والنكت على المحرر للمجد بن تيمية (٢/ ٢٦٧).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

سادساً: كان أكثر علماء الأمة على تتابع عصورها علماءَ أمصار، وليسوا علماءَ ثغور، مثل سعيد بن المسيب، وفقهاء المدينة السبعة، والزهري، والأئمة الأربعة، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن حجر، وغيرهم.

بل إن من العلماء من لم يَشهد معركةً قط، ولم يخرج في سرية قط، كالأئمة الأربعة فلا يُعلم لهم شهودُ معركة، ومع ذلك فإن أحكام الجهاد إنما أُخذت من فقههم، ورُجِعَ فيها إلى اجتهادهم، وما أقعدهم رحمهم الله عن الشخوص جبن ولا خوَر ولا شحّ بأنفسهم، ولكن علمهم أن ما هم فيه رباط وجهاد ليس دون ما عليه أهل الثغور، إن لم يكن أولى وأجدى كما قال الإمام مالك لعبد الله العمري (وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر) التهميد (٧/ ١٨٥)، السير (٨/ ١١٤).

سابعاً: أن الجهاد في الآية ينبغي أن يُفسَّر بمعناه العام، كما فسَّره به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا تنزيل الوحي وفقهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزله الله إليه.

كما روى البخاري من حديث عِباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من اغبرَّت قدماهُ في سبيل الله حرَّمه الله على النار**»، وقد أورد البخاري هذا الحديث في باب المشي إلى الجمعة، وقال الحافظ ابن حجر في: «الفتح«: أورده هنا لعموم قوله: «**في سبيل الله**» فدخلت فيه الجمعة، ولكون راوي الحديث استدلَّ به على ذلك.ا.هـ.

وبذلك يَعلم كلُّ ذي بصيرة أنَّ هذه الآية في توقيت نزولها، وفي تفسير العلماء لها، وعملهم بمعناها لا تلاقي ما يحاول بعض إخواننا سوق دلالتها إليه عندما يَدْخلون باسم الجهاد الذي لم تستوف شرائطه ولوازمه في مواجهات غير متكافئة يفتاتون بالقرار الأكبر والأخطر فيها على الأمة علمائها وحكمائها وذوي البصيرة والرأي فيها بزغم أنهم أهل الثغور، وأهل الاجتهاد في أمر الجهاد، ولو غيبت الأمة كلها عن قرار تصل إليها تداعياته وتطالها آثاره وتبعاته.

إن أهم ما نعتبر به من هذه الآية هو أن نفقه منها أهمية المجاهدة بمعنى استفراغ الوسع في تطلّب الحق، والاجتهاد في إصابته على مراد الله ورسوله، وصدْق اللّجأ إلى الله أن يصيب بنا الحق، ومن كان كذلك فهو حريّ أن ينال موعود الله في هذه الآية (**لنهدينهم سبلنا**).

وعلينا أن نحذر من أن نقع من حيث لا نشعر في التترس بدلالة ننتقيها من النص لتسعفنا في أمر قد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فرغنا منه، أو تعذرنا في مزلة قد تورّطنا فيها.

إن علينا أن نجاهد أنفسنا على الانقياد لدلالات النصوص، لا أن نسوق دلالة النص لندافع بها عن آرائنا واجتهاداتنا، فضلاً أن نجعل من دلالات النصوص المنتقاة قنطرة للوقوع في أعراض علماء يخالف رأيهم رأينا، واجتهادهم اجتهادنا، وليسوا بأقل منا حرصاً على تطلّب الحق وإصابته.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء صراط مستقيم.

المصدر: الإسلام اليوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أهل السنة والجماعة

انتقد العلامة الموريتاني الدكتور محمد الحسن ولد الددو ، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هذا المصطلحَ « أهل السنة والجماعة » ؛ وقال : « إنه عبارةٌ مُحْدَثَةٌ ومفهومٌ لم يَرِد في نصوص الوحيين ؛ وإنما نشأ في سياق التدافع السياسي بين الأمويين وخصومهم السياسيين من الشيعة والخوارج ؛ لكن بعض فرق أهل السنة استأثرت بهذا اللقب ، ونقلته من إطاره السياسي إلى إطار فقهي واعتقادي ؛ تمكنت به من إقصاء الفرق السنية الأخرى ؛ وجَعْلِهِ علامةً خاصة بها » [نقلًا عن موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين] :

أولًا : نتعجب من قول العلامة الددو : « إنه عبارة محدثة ومفهوم لم يرد في نصوص الوحيين » ؛ لقد ثبت من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ورواه عنه الإمام اللالكائي في كتابه « اعتقاد أهل السنة والجماعة » ، ونقله ابن كثير في تفسيره ؛ عند تفسير قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال : يعني يومَ القيامة حين تبيضُّ وجوه أهل السنة والجماعة ؛ وتَسْوَدُّ وجوه أهل البدعة والفرقة ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما . [انتهى نص كلام ابن كثير] والخبر عن ابن عباس في كتاب اللالكائي [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧٢]

وثبوت هذا الكلام عن حبر الأمة عبد الله بن عباس يجب أن يردع كائنًا من كان عن وصفه بأنه مُحْدَث ؛ هذا وابن عباس إنما أخذ هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الوصف من الحديث المشهور الذي قال فيه النبي ﷺ : « .. وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي » ، وفي رواية قال : « هي الجماعة » [انظر الشريعة لأبي بكر الآجري ١/ ٤٣٣ ، و شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٠٠]

فما هو عليه ﷺ : هذه هي السنة ؛ وأصحابه : هم الجماعة ؛ فنحن مقيدون في فهم الإسلام بهذين الضابطين : السنة ، ومنهج الصحابة في فهمها ؛ ولا أظن العلامة الددو ينازع في هذا ؛ وإلا صارت المشاغبة في الثوابت .

قد يُقال : إن فهمَ الصحابة غيرُ مُلزِم باعتباره اجتهادًا غير معصوم ؛ نعم اجتهادهم على مستوى الأفراد غير مُلْزِم فنحن كما قال الإمام أبو حنيفة : إذا اختلف الصحابة أتخيَّرُ من أقوالهم ولا أخرج عنها . المقصود هو منهجُ مجموعِ الصحابةِ ؛ وليس اجتهادَ الأفراد منهم ؛ ونقصد بالمنهج طريقتَهُم في فهم الوحيين ؛ فهذه الطريقة مُلْزِمَةٌ ، وإليها الإشارة في القرآن بقوله تعالى : ﴿.. وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥] فسبيلُ المؤمنين المُتَوَعَّدُ مَنْ يخالفُهَا بالعقوبة الشديدة الواجبُ أن تكون هي سبيل الصحابة ؛ وإلا فسبيل من ؟

هل نقول : سبيل مجموع المسلمين في كل زمان ومكان ؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إذن يكون هذا القائل قد أحالنا إلى مئاتِ السبل المختلفة المتنازعة ؛ بينما أسلوب الآية يدل على أنها سبيلٌ واحدةٌ مؤتلفةٌ لا اختلافَ فيها .

ثانيًا : هذه اللوثة كيف انتقلت عدواها إلى العلامة الددو مع ما عُرف عنه من علم وعقل ، أعني لوثةَ التجميع بلا منهج ؛ تجميع كلِّ من هبَّ ودبَّ ؛ يكفي أن يرفع شعارَ الإسلام ؛ ولو كان ينقضه باعتقاده ؛ كالروافض ، وهذه اللوثة _ للأسف _ ما زال كثير من الدعاة والمثقفين والكتاب واقعين تحت تأثيرها ؛ ولهذا في اتحاد علماء الإخوان المسلمين _ هكذا ينبغي أن يكون اسمه _ تجد الروافض والخوارج والجهمية وربما المعتزلة ؛ فتجد الرافضيَّ « التسخيريَّ » بجوار الشيخ العلامة القرضاوي _ وهو من فقهاء أهل السنة والجماعة _ ؛ ولو حدَّثَ القرضاوي نفسه مرةً بأن يسأل هذا الرافضي عن اعتقاده في القرآن ، وفي أمهات المؤمنين ، وفي الرعيل الأول أصحابِ رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم ، بل وفي السنة النبوية ؛ وأجاب الرافضيُّ بالحقيقة لا بالتقية لسأل القرضاوي نفسه : كيف أجلس مع هذا المجوسي في اتحادٍ واحدٍ ، وما الجدوى من ذلك ؟

إن محاولة التَّخَفُّفِ _ بل نقول التخلص _ من ضوابط الإسلام ينتج إسلامًا لا طعمَ له ولا لونَ ولا رائحةَ ؛ إسلامًا مُشْبعًا بالعموميات والشعارات ، لا بالحقائق ؛ وهذا مخالف لنص القرآن ؛ فالقرآن العظيم دعانا إلى توحيد الكلمة ولكن على الكتاب والسنة في قول الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ .. ﴾ [آل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عمران : ١٠٣] فالاعتصام والاجتماع يجب أن يكون على حبل الله ؛ الذي هو القرآن والسنة .

ونحن نرى أن مصطلح أهل السنة والجماعة يدخل تحت مظلته كل من اعتمد السنةَ ومنهجَ الصحابة ، ويدخل في ذلك الأشاعرة والماتريدية والصوفية لأنهم لا ينازعون فيهما ، ومن نازع فيهما من هذه المذاهب كغلاة الأشاعرة والماتريدية ؛ وغلاة الصوفية ؛ فلا يدخلون في هذا الإطار ؛ أما المعتزلة فلأنهم ينازعون في السنة ويَقدِّمون عليها الدليلَ العقليَّ فلا يدخلون أيضًا في هذا الإطار ؛ وأما الروافض كالشيخ المجوسي « التسخيري » وأمثاله من « التساخير » الذين يضحكون على اتحاد علماء الإخوان المسلمين بالتقية ، والروافض دينهم الكذب ؛ فلا يدخلون في الإسلام أصلًا ؛ لأنهم لا يؤمنون بأيٍّ من ثوابته .

وقد نشرنا فتوى بهذا المضمون في شمول مصطلح أهل السنة والجماعة للأشاعرة والماتريدية والصوفية ؛ نُشرت في موقع « الإسلام اليوم » ؛ ووقَّعَ معي على هذه الفتوى اثنان من علماء القصيم هما : فضيلة الشيخ محمد بن ناصر السحيباني ، وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان ، المدرسان بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة النبوية.

كتبه

عبد العزيز القارئ

بالمدينة النبوية

في ١٩/ ٨/ ١٤٣٢هـ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اللَّحْنُ في مِحْرابِ التَّراويحِ بالحرمينِ الشريفين

اللَّحْنُ في اللغة يأتي بمعنى الخطأ وبمعنى الصواب ؛ فهو من الأضداد يُقالُ : لَحَنَ في كلامه إذا أخطأ في اللغة ، ويُقالُ : لَحَنَ في كلامِهِ إذا أجَادَهُ وأحْسَنَهُ ، ومن اللَّحْن بمعنى الصواب قوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد : ٣٠] أي في صواب القول وصحته ، وهذا كان من سِمَات المنافقين ؛ قال عز وجل : ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ..﴾ [المنافقون : ٤][(١)]

واللَّحْنُ في الكلام بمعنى الخطأ هو مقصودُنا هنا ، وكان مذمومًا عند العرب يَسْتَعِيبُونَهُ ، ويَعُدُّونَهُ هُجْنَةً للشريف .

قال الأنباري : قال العتبي عن أبيه : استأذن رجل من عِلْيَة أهل الشام على عبد الملك بن مروان وبين يديه قوم يلعبون بالشِّطرنج فقال : يا غلام غَطِّهَا . فلما دخل الرجل فتكلم لَحَنَ ، فقال عبد الملك : يا غلام اكشف عنها الغطاء ، ليس لِلَاحِنٍ حُرْمَةٌ .

وقال الأنباري : دخل رجل على عبد العزيز بن مروان فشكا إليه خَتَنَهُ ، فقال : ومن خَتَنَكَ ؟ قال : ختنني الخَتَّانُ . فقيل لعبد العزيز : أيها الأمير إنه لم يفهم عنك قولَكَ . قال : فأفهِمُوهُ . فقالوا له : من خَتَنُكَ ؟ فقال ختني فلان . فاستحيا عبد العزيز وألزم نفسَهُ ألَّا يجلس للناس حتى يعرفَ من العربية ما يُصْلِحُ كلامَهُ ويُزِيلُ اللَّحْنَ منه[(٢)] .

ورأى أبو الأسود الدؤلي أعْدالًا [العِدْلُ نصف حِمْلِ الدابة] مكتوبًا عليها : لأبو فلان . فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون ؟![(٣)]

ولذلك كان السلفُ رضوان الله عليهم يُوصُون لِتَجَنُّبِ اللَّحْن بتعَلُّمِ العربية ..

---

(١) الأضداد للأنباري [طبعة الكويت ١٩٦٠ م] ص ٢٣٨ .

(٢) الأضداد ص ٢٤٥- ، ٢٤٦ .

(٣) بهجة المجالس وانسُ المجالس وشّحْنُ الذِّهْن والهَاجِس [الطبعة المصرية] ١/ ٦٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال ابن عبد البر : كتب عمرُ إلى أبي موسى الأشعري : أما بعدُ فتفَقَّهُوا في السنَّةِ وتعلَّمُوا العربية[١] .

ورُوِيَ عنه رضي الله عنه أنه قال : رحِمَ اللهُ امرءًا أصلَحَ من لِسَانِهِ . وذكره الأنباري عنه مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ورَوَى الحاكمُ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلًا قرَأَ فلَحَنَ ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أرْشِدُوا أخَاكُمْ»[٢] .

وكان عبدُ الله بن عمر يضرب وَلَدَهُ على اللَّحْنِ .

وكان عبدُ الله بن المبارك رحمه الله يقول : اللَّحْنُ في الكلام أقبحُ من الجِدْري في الوجه[٣] .

واليوم تجد اللَّحْنَ في كل مكان ، لا يكاد يَسْلَمُ منه أحدٌ ؛ الأصاغرُ والأكابرُ ، وخطباءُ الجمعة ، وغيرُهم ، كلُّهم يَلْحَنُونَ ، العُجْمَةُ أصبحَتْ داءً عُضَالًا ، واعْوجَاجُ الألسنةِ أصَابَ حتى العربَ الأقْحَاحَ ..

وأشَدُّ اللَّحْن سوءًا وأكثرُهُ عيبًا ، ما يقع في قراءةِ القرآن .. ومرَّ في حديثِ أبي الدرداء ما يفيد أنه نوعٌ من الضلال يحتاج من يقع فيه إلى إرشادٍ ، حَسْبَ اللفظِ النبوي ..

وتجنُّبُ اللَّحْنِ في قراءةِ القرآن يتحقق بتعلُّمِ «التجويد» وإتقانِهِ ؛ وهو من أهم علوم العربية ، وسبقت وصية الفاروق رضي الله عنه بتعَلُّمِ العربيةِ .

واللَّحْنُ عند المُجوِّدِين قسمان : جَلِيٌّ وخَفِيٌّ ؛ فأما الجليُّ فهو خَلَلٌ يَطْرَأُ على الألفاظِ فيُخِلُّ بالمعنَى والعُرْفِ ، أو خَلَلٌ يطرأُ على الألفاظ فيُخِلُّ بالعُرْفِ دون المعنى [من عبارة الجزري في التمهيد] ، والمقصود بالعُرفِ أحكامُ التجويدِ ، فهي عُرْفُ أهلِ الأداءِ ، فمخالفةُ أحكام التجويد لَحْنٌ ، فإذا كانت هذه المخالفةُ واضحةً بحيث يشتركُ في معرفتها أهلُ التجويد

---

(١) بهجة المجالس ١/ ٦٤ .

(٢) المستدرك ٢/ ٤٣٩ .

(٣) ابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ٦٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وغيرُهم سُمِّيَ اللَّحْنُ جَلِيًّا ؛ أي واضحًا ، مثل الإخلال بمَبْنَى الحرفِ أو بحركة الإعرابِ ، والإخلالُ بالحروفِ يكون سببُهُ عدَمُ تحقيق مخارجِهَا ، وصفاتِهَا التي تتميز بها ، وهذا أهمُّ مطالبِ التجويدِ ؛ قال الحافظ أبو عمرو الداني : «اعلموا أن قُطْبَ التجويد ومِلَاكَ التحقيقِ معرفةُ مخارجِ الحروفِ وصفاتِهَا التي بها ينفصل بعضُهَا عن بعضٍ وإنِ اشْتَرَكَ في المخرج ..»[1].

وهذا الإخلالُ بالحروفِ أو بحركاتِ الإعرابِ يُعَدُّ لحنًا جليًا وإنْ لم يُفْسِدِ المعنى فكيف إذا أفسَدَ المعنى ..

ويدخل في اللَّحن الجليِّ مخالفةُ أحكام التجويد المُجْمَعِ عليها وإن لم يكن بها تغييرٌ للحرفِ أو الإعرابِ ، مثلُ قَصْرِ المُتصِل أو تَرْكِ الغنَّةِ بالكليةِ ، أو غَنِّ ما لا غُنَّةَ فيه ، أو إمالةِ ما لا إمالةَ فيه .

ومن اللحن الجليِّ الوقوفُ القبيحةُ التي يكون فسادُ المعنى فيها واضحًا جليًّا : مثلُ الوقفِ على المَنْفِي من كلمةِ التوحيدِ ؛ فيقولُ : ﴿فاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ ..﴾ ويقف ، ومثلُ الوقفِ على المَوْتَى في قوله ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالمَوْتَى﴾ ويقف .

وأما اللَّحنُ الخفيُّ فهو الخطأ الذي لا يدركه إلا الحُذَّاقُ من أهل الأداء ويخفى على العامَّةِ ، وغالبًا ما يتعلق بتحسين النطق وإتقان شرطِ الأداءِ لا بتصحيحِ النطق ، أو تحقيقِ شرطِ الأداءِ ، مثلُ عدم ضبط مقادير المدود ، أو عدم المساواة بين مقادير المدِّ الواحدِ في المَقْرَأ الواحدِ ، كأن يَقْصُرَ المنفصل في موضع ويمده في الموضع الذي يليه، ومثل زيادة التكرير في الراآت أو تطنينِ النونات ، أو تغليظِ اللاماتِ في محل الترقيق ، أو العكس ، أو تفخيم الهاءاتِ في لفظِ الجلالةِ ﴿الله﴾ في حالة النصب ، أو نحو ذلك ، واللحن الخفيُّ قلَّ من

(١) التحديد في الإتقان والتجويد للداني [بتحقيق د . غانم قدوري حمد / طبعة جامعة بغداد / ١٤٠٧هـ] ص ١٠٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يَسْلَمُ منه ، وفيه تختلف مقاماتُ المُجَوِّدين إتقانًا وإحكامًا ، فهم درجاتٌ في السلامةِ منه بَعْضُهَا فوق بَعْضٍ ، لكنه إذا كَثُرَ في قراءةِ المُجوِّدِ أفْسَدَهَا .

وفي حكم الصلاة خلف من يلحن ، يفهم من كلام الخِرَقي وصاحبِ المغني ، أنه لا يجوز للمُجَوِّد أن يأتمَّ به إذا كان يلحن لحنًا يُحِيلُ المعنى ، ويكره إذا كان لا يحيل المعنى .

ولا يُعْتَدُّ بصلاته فعليه الإعادة في الحالة الأولى[1] .

نصل بعد ذلك إلى موضوعنا وهو اللَّحْنُ في محراب التراويح في المسجدين المقدَّسين : المسجدِ الحرام والمسجدِ النبوي :

مما يَحُزُّ في النفسِ أننا صرنا نسمع كثيرًا من اللحن الجليِّ من بعضِ أئمةِ المسجدين ، وأما اللحن الخفيُّ فلا تسأَلْ عنه لكثرته ..

قبل الشروع في تفصيل ذلك أحب – اعترافًا بالفضل لأهله – أن استثني الشيخين المتقنين : الشيخ سعود الشريم بالمسجد الحرام ، والشيخ علي الحذيفي بالمسجد النبوي ، فلم أسمع في قراءتهما شيئًا من اللحن الجليِّ ، وأندرُ من النادر وقوعُ شيءٍ من اللحن الخفيِّ منهما ؛ فنسأل الله تعالى أن يبارك فيهما ويحفظهما ذخرًا للمحراب وللمسلمين .

لكن الباقين سامحهم الله يأتون بالعجائبِ ؛ كأنهم يقرأون حَسْبَمَا يشتهون ، لا حَسْبَ شرطِ الأداء ؛ فيقعون في اللحن الجليِّ ، وكثيرٍ من اللحن الخفيِّ ، ومثلُ هذا في هذا المقام لا تقتصر فيه الفضيحةُ التجويديةُ علينا في الداخل بل تُنْشَرُ في العالم بواسطةِ البَثِّ الفضائيِّ ، حتى قال لي أحدُ شيوخِ القراء خارجَ المملكة : إن لم يكنْ عندكم مُجوِّدون مُتْقِنُونَ نُرْسِلُ لكم من عندنا .

فتذكَّرْتُ ما صنع الملكُ عبد العزيز رحمه الله مُؤسِّسُ المملكة ؛ أول ما عيَّنَ في المسجد الحرام قارئًا مصريًا هو الشيخ عبد المهيمن أبو السمح رحمه الله ، وعَيَّنَ في المسجد النبوي إمامًا مغربيًا هو أستاذنا الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله ، لكنه لم يكمِّلْ سَنَةً في الإمامة ،

(١) انظر المغني [الطبعة المصرية القديمة] ٢/ ٣٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حيث عُزِلَ بناءً على شكوى من أهل المدينة أنه يُطِيلُ في الصلاة ، هكذا سمعْتُ من بعض أهل «النُّخَيْل» لأنه انتقل إليهم بعد عزلِهِ وفتَحَ عندهم درسًا في «التوحيد» .

وينبغي أن يُفهم من خطوة الملك عبد العزيز رحمه الله بتعيينِ هذين الإمامين أهميةُ هذين المسجدين المقدَّسين للعالمِ الإسلامِي ، فأَحبَّ أن يُشْرِكَهُ في إمامتهما ..

ونحن اليوم لا نحتاج إلى أئمةٍ من خارج المملكة ، ففيها من القراء المتقنين الكثيرون والحمد لله ، وفيها نهضة قرآنية لم يسبق لها نظير في التاريخ القريب ، فالألوف المؤلَّفة اليوم من الصغار والكبار يحفظون القرآن ويُجوِّدونه ..

لكن لا عذر لنا إذا نصَّبْنَا في هذا المحراب الهام الخطير من لا يُجوِّد القرآنَ ويقع منه اللحنُ الجليُّ والخفيُّ ؛ ثم ننشر هذا على العالم بالبث الفضائي ؛ إن هذا يشبه تحريفَ القرآن ، ثم نشْرَ هذا التحريف على أوسع نطاق ؛ لأن من يقف في محراب المسجد الحرام أو محراب المسجد النبوي هو في مقام الاقتداء به ، فإذا لَحَنَ يقتدي الناس بلحْنِهِ ، أي بخطئه .

وقد سمعْتُ بعضَ أئمةِ المساجدِ يقتدون ببعض أئمة الحرمين في أخطائهم ، مما هو من قبيل اللَّحْنِ الجليِّ ..

وهذا يجعلنا نتساءل :

لماذا شُكِّلَتْ لجنة على أعلى مستوى فيها من علماء القراآت أئمة أعلام : كالشيخ عامر بن السيد عثمان ، والشيخ أحمد عبد العزيز الزيات ، والشيخ عبد الفتاح المرصفي ، والشيخ محمود سيبويه البدوي رحمهم الله ، وغيرُهُمْ من أعلام القراء في هذا العصر ؛ وذلك للإشراف على التسجيل ، ولمرافقة التلاوة أثناء تسجيل مصحفٍ صوتيٍّ لِكُلٍّ من الشيخ علي الحذيفي ، والشيخ إبراهيم الأخضر ، والشيخ محمد أيوب ، وذلك في مُجَمَّع المصحفِ بالمدينة النبوية ؛ مع أن ثلَاثَتَهُمْ قُرَّاءٌ مُتْقِنُونَ ؟!

ألا يحتاج المحرابُ في المسجدين المُقدَّسين والحرمين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي إلى لجنةٍ مُشَابِهَةٍ ، تُرشِّحُ من تراه أهلًا وتتولى اختبارَهُ ، ثم تتولى متابعة أداءِ كلَّ إمامٍ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لتنبيهِهِ إلى أخطائِهِ ، ومساعدتِهِ على أن يُصْلِحَ من لسانِهِ ؟ هذا مع أن هذا المقام أخطر وأصعب من ذاك المقام ؟

مثلًا : شارَكَ في صلاةِ التراويح والتهجُّدِ في رمضان هذا العام بالمسجد النبوي إمامٌ جديدٌ[1] ، أتعجبُ كيف رُشِّحَ ، لا يمكن أن يرشِّحَهُ عالِمٌ أو مُجَوِّد ، لكثرة أخطائه في التجويد ، ومن أخطائه التي هي من قبيل اللَّحْنِ الجليِّ نطقُهُ بحرفِ الجيمِ ، فإنه ينطق بها ملتبسة بالشين ، أو فيها من صوت الشين ، فتَصيرُ مثلَ الجيمِ الهنديةِ التي يرمزون لها بوضع ثلاث نقط ؛ وهذا منه نتيجة الإخلال بصفتَيِ الجهر والشِّدَّةِ فيها ، إذ بهما تتميز عن الشين ؛ لأن مخرجهما واحد .

ومن أمثلة اللحن الجليِّ الذي يقع من بعض أئمة الحرمين الشريفين : التوقف على اللام التي بعد الألف الممدودة التي بعد الضاد في قوله في سورة الفاتحة : ﴿ .. وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ بمقدار حركتين فأكثر .

ومنه إظهار الغنة في النون والميم الساكنتين عند الوقف عليهما في مثل : ﴿العَالَمِينْ﴾ ﴿الرَّحِيمْ﴾

ومن اللَّحْن الجليِّ عَدَمُ تحقيقِ الكَسرِ في مثل ﴿العَالَمِين﴾ ﴿الرَّحِيم﴾ ﴿العَالَمِينْ﴾ ﴿الدِّين﴾ ﴿نسْتَعين﴾ فتبدو اليَاءُ المَمدودةُ مدًا عارضًا للسكون كأنها مُمَالَةٌ ، ومثله في الواو في مثل ﴿تَعْبُدُون﴾ بدلًا من تحقيق الضم يَنْطِقُ بها بين الفَتْح والضمِّ وهذا خطأ .

ومن اللحن الجليِّ وَصْلُ الآيات الأولى من سورة الفاتحة بالتَّسْكِين ، وربما لا يُريد الوَصْلَ مَنْ يقع في هذا ؛ لكنه من سرعةِ القراءةِ أشبهتِ الوَصْلَ ، وهذا ليس عذرًا إذ عليه في هذه الحالة أن يُعْربَ أواخرَ الآيات .

ومن اللحن الجليِّ النُّطْقُ بالجيم مُعَطَّشَة ؛ وهذا أيضًا يقع من النقص في صفتي الجَهْر والشِّدَّةِ في الجيم .

---

(١) عام ١٤٢٧هـ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن اللحن الجليِّ اقتراب الغين من الخاء في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ وسببه النقص في صفة الجهر في الغين بينما الخاء مهموسة . وأما الضاد من ﴿الضَّالِّين﴾ في الفاتحة فحالُهَا مع هؤلاء الأئمة مما تُسْكَبُ فيه العَبَرَاتُ ، تُنْطَقُ أحيانًا ظاءً ، وأحيانًا طاءً – بالمهملة –، وأحيانًا دالًا مُفَخَّمَة ، وهذا هو الغالب ، وكل هذا الأصلُ فيه أنه من اللحن الجليِّ الذي يُفسِد القراءة ويجعل الصلاة خلفَ الإمام فيها نظرٌ ، لكنَّ الإخلالَ بالضاد مما عَمَّتْ به البَلْوَى ، وكَلَّتْ دون ضَبْطِهِ الهممُ ، ليس في عصرنا فقط ؛ بل منذ زمن السَّخاوي عَلَمِ الدين أوَّلِ شارحٍ للشاطبيةِ ، المُتَوَفَّى سنة (٦٤٣) هـ ، حيث يقول في منظومةٍ له :

وَالـضَّادُ عَـالٍ مُـسْتَطِيلٌ مُطْبَـقٌ ... جَهْـرٌ يَكِـلُّ لَدَيْـهِ كُـلُّ لِـسَانِ
حَاشَـا لِـسانٍ بالفَـصَاحَةِ قـيِّمٍ ... ذَرِبٍ لأحْكَـامِ الحُـروفِ مُعَـانِي
كـمْ رَامَـهُ قَـومٌ فـما أَبْـدَوا سِـوَى ... دالٍ مُفَخَّمَـــةٍ بـــلا عِرْفَـــانِ

وفي نسخة : «لَام مُفَخَّمَةٍ» ..

هذه أمثلة من اللَّحن الجليِّ الواقع من بعض أئمة الحرمين الشريفين ولأنها أمور صوتية فإنني أفكر في إصدار شريط صوتيّ للتنبيهِ على ذلك ، هذا إذا توافرَتْ «تسجيلاتٌ» تقبل بمثل هذا الإصدار وتجرؤ عليه ، ذَبًّا عن القرآن ودفاعًا عن حِيَاضِهِ .

كتبه :عبد العزيز القارئ
بالمدينة النبوية
في ٢/ ١٠/ ١٤٢٦هـ

This file was downloaded from QuranicThought.com